(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [آل عمران:٩٨-١٠١]

الشيخ: إلى هنا، لا إله إلا الله.

في هذه الآيات توبيخٌ من الله لأهلِ الكتابِ من اليهود والنَّصارى، مع ما آتاهُم اللهُ من العلمِ بما جاءتْ به الرسلُ يكفرونَ بآياتِ الله، واليهودُ كذَّبُوا المسيحَ -عليه السلام- وارتكبُوا عظائمَ، ثم كذَّبُوا -كلهم جميعًا- كذّبوا محمدًا -ﷺ-، فكُفرهُمْ أغلظُ من كفر بغيرهم؛ لأنه جاءَهم من العلمِ ما هو حجةٌ عليهِم، جاءهُم من العلمِ ما يعرفونَ به صدقَ محمدٍ -ﷺ-.

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} فاللهُ شهيدٌ على العبادِ مُطَّلِعٌ على أحوالِهم وظواهرِهم وبواطنِهم.

ومع كفرِهم بآياتِ الله لا يكتفونَ بهذا -والعياذ بالله- بل يصدُّون، يصدُّون الناس، {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ} مَنْ آمَنَ تَصُدُّونَ الذين آمنوا بالله وكتابه ورسوله، تصدُّونَهم عن طريقِ الحقِّ {تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} وفي هذا تهديدٌ لهم بأنَّ الله مطلعٌ على أحوالهم وأسرارهم.

ثم قال -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} فلمَّا وَبَّخَ أهلَ الكتابِ حذَّرَ المؤمنين من طاعتِهم، حذَّرَ المؤمنين من طاعتِهم، وهذا المعنى يأتي في القرآنِ في مواضع، النهيُ عن طاعةِ الكافرين؛ لأنهم حريصونَ كلَّ الحرصِ على إضلالِ المسلمين، ومَن أطاعَهُم هلكَ وشَقِي، {يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} فقبيحٌ قبيحٌ مِن الذي هذه حالُهُم، تُتْلى عليهم الآياتُ، والرسولُ بين أظهرِهم، ثمَّ يَستجيبونَ، وهذا قد وقعَ من المنافقينَ، المنافقون هم الذين تَوَلَّوا الكافرينَ وأطاعوهُم واستجابُوا لهم وأعانوهُم ووعدوهُم.

قال -تعالى-: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} متوكلًا عليه ومكتفيًا به ومهتديًا بهداهُ، يُهدى إلى الصراطِ المستقيمِ، ويُثَبِّتُهُ الله على ذلك.